

## الجمال والمحبة عند أبي حامد الغزالي

الباحثة : بن سهلة يمينة

مخبر الفلسفة وتاريخها- جامعة وهران 2

تهدف فلسفة الجمال باعتبارها فرع من فروع الفلسفة إلى دراسة التصورات الإنسانية عن الجمال من خلال العوامل و المؤثرات المكونة للوعي الجمالي عند الإنسان، هذا الوعي الذي يجعل البحث في تاريخ النظريات الجمالية بحثا في مكونات الوعي الجمالي وفقا لثلاث مراحل هي «مرحلة التصور، مرحلة الإحساس، مرحلة الحكم»<sup>1</sup>، لكن لم تبقى هذه الأفكار الجمالية ثانوية ضمن الفكر الفلسفي، بل استقلت و تحررت لتجعل لنفسها مجالا ومنهجها خاصا بها، في النصف الأخير من القرن الثامن عشر ليكون بذلك ميلادا لعلم جديد ينظم إلى فروع وأقسام الفكر الفلسفي على يد أحد المفكرين الألمان ألكسندر باومجارتن Alexander Baumgarten الذي جعل للجمال علما مستقلا بذاته اسمه «الإستطيقا» أو علم الجمال، حيث عرفه من خلال كتابه «تأملات فلسفية» الصادر سنة 1735 كمال المعرفة الحسية «، ما يعني أنه قد أدرج المعرفة الحسية داخل نظام الفلسفة، لأنه أراد أن يؤسس لها أورجانون خاص يناظر أورجانون المنطق الأرسطي.

لكن مع بروز النزعة الذاتية التي شهدتها العصر الحديث نتج عنها علم الجمال الجديد، هو علم أساسه ذاتي لكنه منفصل عن الطبيعة و الأخلاق، إنه الانفصال الذي أحدثته القوة النقدية الكانطية عن إستطيقا Alexander Baumgarten كعلم يهتم بتحديد شروط قيام الحكم الجمالي كفعل أساسي لكل موضوع جمالي، فإن إمانويل كانط يؤسس إستطيقا الحكم في مقابل إستطيقا الإبداع من خلال مشروعه النقدي، ليجعل منها الموضوع الجوهرية لكل إستطيقا مقبلة، ليكون بذلك التأسيس الجديد أو لحظة الميلاد الثانية للإستطيقا ، هو ما أكده جون لاکوست في قوله إن تصور كانط، لا يستند إلا إلى شعور اللذة ، ربما عن كذب الجمالية و الذاتية<sup>2</sup>، يعني هذا أن حكم الجمالي الكانطي هو حكم صادر عن الذوق، و« الذوق صادر عن الرضا، أو السرور الذاتي الذي لا يأتي من ورائه منفعة، كما أنه حر من التصورات و يقوم على الخبرة الذاتية»<sup>3</sup>. لكن إذا كان علم الجمال الحديث يقوم على

1-1 راوية عبد المنعم عباس - فلسفة الفن و تاريخ الوعي الجمالي - دار المعرفة الجامعية- 1991-ص 267  
22-Jean Lacoste- Philosophie présente- les aventures de l'esthétique- qu'est ce que le beau ? BORDAS- Paris-2003 - P177/178

3 - إمانويل كانط - نقد ملكة الحكم - ترجمة غانم هنا - المنظمة العربية للترجمة - الطبعة الأولى-2005-ص 41

أساس الحكم الجمالي الذاتي، فما هي حقيقته في التصور الفلسفي الإسلامي؟

#### - الألفاظ الدالة عن الجمال في التصور الفلسفي الإسلامي:

ورد لفظ الجمال في القرآن ثمانية مرات، واحدة منها بصيغة المصدر، أما الباقي فكانت كلها صفات ضمن مجال الجمال منها «الحسن، البهجة، النضرة، الزينة... كما استعملت اللغة العربية الكثير من الكلمات للتعبير عن الجمال، بعضها شمل المجال العام، والبعض الآخر كان للخاص، حيث عرفه الثعالبي في كتابه «فقه اللغة» فقال (هو) الصبغة في الوجه، والوضاءة في البشرة، الجمال في الأنف، والحلاوة في العينين، والملاحة في الفم، والظرف في اللسان، الرشاقة في القد، واللباقة في الشمائل، وكمال الحسن في الشعر<sup>1</sup> نجد من خلال هذا القول يقسم الجمال ضمن كلمات جعل لكل لفظ من الجمال مجاله الخاص، كما وردت ألفاظ أخرى تعرف الجمال من خلال تحديدها لمجال آثار الجمال عبر ثنائية «السرور، الإعجاب».

يقول أبو هلال العسكري في كتابه الفروق في اللغة «أن الحسن في الأصل للصورة، والجمال في الأصل للأفعال، والأخلاق، والأحوال الظاهرة» ما يوضح لنا طبيعة الجمال التي تمثلها العلاقة القائمة بين الشكل والمضمون، إنها علاقة تشكل أهم الموضوعات التي تناولها علم الجمال سواء الغربي أم الإسلامي، وفق قانون التناسق والانسجام بين الشكل والمضمون ضمن الموضوع الجمالي. يجعلنا هذا أمام جدلية الشكل والمضمون، الأول يشمل الصورة الخارجية للموضوع الجمالي، أما المتغير الثاني المضمون فيمثل كل ما يشتمل عليه العمل الفني من فكرة أو فلسفة، أخلاق، أو دين، أو مجتمع ... ما يؤكد حتمية الصلة بينهما لأنهما وجهان لأمر واحدة، إذن «لا يكون للجمال وجود حقيقي إلا حينما يكون الانسجام والتوافق بين سمتي الظاهر والباطن، وإن كان غير ذلك كان جمالا تافها»<sup>2</sup>.

#### - طبيعة الجمال و حقيقته عند أبي حامد الغزالي:

يطرح الموضوع الجمالي مجموعة من التساؤلات كفرضيات توجه دراستنا التحليلية حول الموضوع الجمال، و حقيقة الإنسان الجمالي في التصور الفلسفي الإسلامي من خلال منظور أبو حامد الغزالي (450-505هـ/ 1058-1111م)، و التي نصنفها وفق التراتبية الفلسفية التالية:

1- صالح أحمد الشامي- ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام- الطبيعة، الإنسان، الفن - المكتبة الإسلامية - الطبعة الأولى 1408هـ/1988-ص113

<sup>5</sup> أبو هلال العسكري- فروق في اللغة-حققه جمال عبد الغني مدغمش- الطبعة الأولى-1422هـ/2002م-مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع-بيروت-لبنان-ص12

2- صالح أحمد الشامي- ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام- مرجع سبق تعريفه - ص207

❖ ما هو مفهوم الجمال عند أبي حامد الغزالي؟ و ما طبيعته، و فيما يكمن أساسه؟

❖ ما هي طبيعة العلاقة بين الإنسان و الجمال في فلسفته؟ وما هي حقيقة الإنسان الجمالي عنده؟

عرّف أبو حامد الغزالي الجمال انطلاقاً من العلاقة القائمة بين مفهوم الجمال، و إدراك الكمال فقال) هو حسن كل شيء في كماله الذي يليق به<sup>(1)</sup>، و قال أيضاً مفسراً و مؤكداً ذلك) كل شيء فجماله وحسنه في آن واحد يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كان جميع كمالاته الممكنة حاضرة فهو في غاية الجمال، و إن كان الحاضر بعضها فله من الحسن و الجمال بقدر ما حضر فالفرس الحسن: هو الذي جمع كل ما يليق بالفرس من هيئة، و شكل، و لون، و حسن، عدو، و تيسر كر وفر عليه، و الخط الحسن: كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف و توازنها و استقامة ترتيبها، و حسن انتظامها، و لكل شيء كمال يليق به...فحسن كل شيء في كماله الذي يليق به، فلا يحسن الإنسان بما يحسن به الفرس، و لا يحسن الخط بما يحسن به الصوت و لا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب و كذلك سائر الأشياء<sup>(2)</sup>، يؤكد هنا الغزالي أن الجمال يقوم على مبدأ التوافق و الانسجام بين الجمال و الحسن في نفس الوقت، بهدف تحقيق كمال الموضوع الجمالي، هذا الأخير الذي تتحدد جمالياته و محاسنه حسب جنسه و نوعه، فجمال الإنسان يختلف عن جمال النبات، و جمال الحصان يختلف عن جمال الخط و هما يختلفان عن جمال الإنسان و الأشياء، كما نجده قد اعتمد على بيان الحالة التي ينبغي أن تتوفر في الموضوع الجمالي حتى يكون جميلاً، بمعنى يجب أن يكون سليماً من العيوب حتى يتمكن من الارتقاء إلى درجة الكمال، و هي درجة مرتبطة بمدى تمرّكه على سلم الكمال.

درس الغزالي وجود الجمال في غير المحسوسات أيضاً لأنه لا يقف عند ظواهر الأمور فحسب حيث قال)فاعلم أن الحسن و الجمال موجود في غير المحسوسات، إذ يقال هذا خلق حسن، و هذا علم حسن، و هذه سيرة حسنة، و هذه أخلاق جميلة...، ليكون أول من قسم الجمال إلى قسمين هما {الجمال الظاهر، و الجمال الباطن}، فالجمال الظاهر هو ذلك الجمال المحسوس و الملموس الذي يتم إدراكه بالحواس الخمسة، أما الجمال الباطن فيعتبر أكثر اتساعاً وعمقاً، ويتم إدراكه من خلال البصيرة التي يتميز أصحابها بالفكر العميق والإحساس السليم، و القلب المدرك للأبعاد العميقة، وهو ما أكده من خلال قوله ( إن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، و جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب و نور البصيرة<sup>(3)</sup>، و يقول أيضاً في نفس الصدد) فمن رأى حسن

71- أبي حامد الغزالي - المحبة و الشوق و الأنس و الرضا - الكتاب السادس من ربيع المنجيات من كتاب إحياء علوم الدين - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1985 - ص 21

2 - أبي حامد الغزالي - المحبة و الشوق و الأنس و الرضا - مصدر سبق تعريفه - ص 25

3 - الغزالي - إحياء علوم الدين - الجزء الرابع - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - دون تاريخ - ص 321

نقش النقاش، وبناء البناء اكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العمل و القدرة<sup>1</sup>.

#### - الكمال و الجمال حقيقة الموضوع الجمالي:

حدّد الغزالي حقيقة الموضوع الجمالي من خلال تحديده لمجال الكمال، و هو ما أكده حين قال (اعلم أن المحبوب في مضيق الخيالات و المحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن و الجمال إلا بتناسب الخلق، و الشكل، و حسن اللون، و كون البياض مشرباً بالحمرة، و امتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال الإنسان. فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبصار، و أكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس مبصراً، و لا متخيلاً، و لا متشكلاً، و لا ملوناً، فلا يتصور حسنه، و إذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لذة، فلم يكن محبوباً فهذا خطأ ظاهر، فإن الحسن ليس مقصوراً على مدركات البصر، و لا على تناسب الخلق و امتزاج البياض بالحمرة<sup>2</sup> مميّز الغزالي هنا بين الجمال و الحسن، ما يعني أن توفر الجمال وحده لا يحقق درجة الكمال، بل يجب حضور الحسن، و هو لا يشمل الظاهر و الشكل فقط، بل حتى الباطن مثل الجمال الذي يجمع بين ما ظهر من الشكل و حسن اللون، و جمال المعنى الكلي الذي يجمع أو يشترك فيه أنواع الجمال. لكن إذا حضر كل من الجمال الظاهر و الباطن و كذا حسنه حضر كمال الشيء فيصبح غاية في الجمال، أما إذا حضر بعضها فله من الحسن و الجمال بقدر ما حضر لأن) جمال كل شيء و حسنه في أن يحضر كماله اللائق به الممكن له، فإذا كانت جميع كمالته الممكنة حاضرة فهو غاية الجمال، و إن كان الحاضر بعضها فله الحسن و الجمال بقدر ما حضر...<sup>3</sup>، يعني أن حقيقة الجمال تكمن في اكتمال كمالات الموضوع الجمالي، و إن كان غير ذلك فيحدد الجمال على حسب درجة الحسن الذي تتصف به المحسوسات و المرئيات، لنخلص إلى أن الجمال هو الكمال. لكن إذا كان الكمال محور الجمال، فهل كل موضوع جمالي يحقق لنا الكمال في نظر الغزالي؟

صنّف أبو حامد الغزالي رؤيته الجمالية العميقة التي يحاول عن طريقها التوصل إلى جوهر الجمال، فجعل الكمال الملائم و المناسب للموضوع الجمالي محور الجمال من خلال العلاقة بين الحسن و الجمال، ليكون الجمال الحقيقي هو اكتمال سمات الموضوع الجمالي دون نقصان، لكن حدد الغزالي شروط اختياره حتى يبلغ الجمال كماله و هو ما أكده من خلال قوله (اعلم أن كل جمال محبوب عند مدرك ذلك الجمال، و الله تعالى جميل يحب الجمال، و لكن الجمال إذا كان بتناسب الخلقة

1 - الغزالي - احياء علوم الدين - الجزء الثاني - دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - دون تاريخ - ص 302

2 - المصدر نفسه - ص 316

3 - المصدر نفسه - ص 317

و صفاء اللون أدرك بحاسة البصر، و إذا الأخلاق و إرادة الخيرات...إلى غير ذلك من الصفات الباطنة أدرك بحاسة القلب<sup>1</sup>، ما يعني أنه لا خير، و لا جمال، و لا محبوب في العالم إلا و هو أثر من الآثار الخالق سبحانه و تعالى سواء أدرك هذا الجمال بالحواس أم العقول، لذا يؤكد أن الجميل محبوب و الجميل المطلق هو الواحد الذي لا ضد له. ليكون شرطه في اختيار الجمال المدرك هو من توفر شرط الحب من قبل الذات المدركة للموضوع المدرك. إذا أسس الغزالي نظريته الجمالية على أساس الحب، حيث شرحها و برهن على أصولها في كتابه «المحبة و الشوق و الإنس و الرضا»، لأنه يقر أن كل ما هو محبوب جميل، ليكون الحب معيار الجمال في التصور الفلسفي الإسلامي.

#### - النظرية الجمالية للغزالي:

حدّد الغزالي جوهر نظريته الجمالية ضمن أربعة أصول ذات تراتبية جمالية، حيث جعل لكل فصل مجاله الجمالي وفق التصور الفلسفي الإسلامي:

#### الأصل الأول: المحبة بعد المعرف و الإدراك

حدد الغزالي في هذا الأصل مجموعة من الفرضيات بهدف تحديد المحبة الحقيقية و شروطها و أسبابها، لأنه يرى أن حقيقة إدراك الموضوع الجمالي تكمن في المحبة الحقيقية، فلا تتصور المحبة و لا تتحقق إلا بعد معرفة الموضوع و إدراكه، لأن الإنسان لا يحب ما لا يعرفه و لا يدركه حيث قال «إذ لا يحب الإنسان إلا ما يعرفه، لذا لم يتصور أن يتصف بالحب جماد، بل هو من خاصية الحي المدرك»<sup>2</sup>، هنا يحدد لنا نوع الموضوع الجمالي المدرك، الذي يجب أن يكون حي مدرك لا جامد و لا ميت، و ليس أي حي يدرك بل ما يوافق طبع المدرك و يلائمه و يحقق له اللذة، لا ما ينافره و يحقق له الألم، ما يعني أن الموضوع الجمالي أن يكون حيا مدركا محبوبا لذته، و هي المحبة الحقيقية التي عرفها حجة الإسلام فقال «الحب عبارة عن ميل الطبع إلى شيء الملذ، فإن تأكد ذلك الميل و قوى سمي عشقا، و البغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤلم المتعب، فإن قوى سمي مقتا، فهذا أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته»<sup>3</sup>.

#### الأصل الثاني: الحب تابع للإدراك و المعرفة

بما أن الإدراك ينقسم حسب المدركات و الحواس، فلكل حاسة إدراك من المدركات، ما يجعل الحب

1 - الغزالي. المحبة و الشوق و الأنس و الرضا - مصدر سيق تعريفه - ص 306

2 - الغزالي. إحياء علوم الدين - المحبة و الشوق و الأنس و الرضا - مصدر سيق تعريفه - ص 5

3 - المصدر نفسه - ص 5

أيضا تابع للإدراك، لأنه يتبع اللذة التي يسببها الطبع من خلال الميل إليها، «فكانت محبوبات عند الطبع السليم، فلذة العين في الإبصار، و إبصار المدركات الجميلة، و الصورة المليحة الحسنة المستلذة»<sup>1</sup>، يحدد لنا الغزالي أن الطبع السليم هو الرئيس و المسؤول عن اختيار أنواع اللذات التي يميل إليها المدرك حسب الحواس الخمس، حيث قال «لما كانت هذه المدركات بالحواس ملذة، كانت محبوبة أي كان للطبع السليم ميل إليها»<sup>2</sup>، إن الطبع السليم يجعلنا نحدد أكثر دقة نوع الموضوع الجمالي المدرك في النظرية الجمالية للغزالي كذات مدركة للجمال، أو كموضوع يجب إدراكه، ألا و هو الإنسان الحي المدرك المحبوب، و هو الشرط الثاني لبلوغ المحبة الحقيقية إنها البصيرة الباطنة لأنها أقوى من البصر الظاهر، و القلب أشد إدراكا من العين، و جمال المعاني المدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للأبصار، فتكون لا محالة لذة القلب ما يجعل الطبع السليم و العقل الصحيح أقوى، إذ لا معنى للحب إلا بالميل في إدراكه للذة، لنخلص أن الموضوع الجمالي الذي يجب حبه هو الإنسان دون غيره.

الأصل الثالث: حب الإنسان لنفسه و حب غيره لأجل نفسه

يحدد لنا حجة الإسلام في هذا الأصل ثلاثة أسباب لتحقيق المحبة هي:

**1/المحبوب الأول لأنه الملائم للحب:** يحدد حجة الإسلام معالم المحبوب الأول «فكمال الوجود أيضا محبوب، لأن الناقص فاقد للكمال»<sup>3</sup>، ما يعني أن المحبوب الأول للإنسان هو ذاته لكن مع شرط سلامة كل الأعضاء لأنها محبوبة و سلامتها مطلوبة، ثم تأتي باقي مكملاته، ماله، عشيرته، أصدقائه... التي يعتبرها كالجنح المكمل للإنسان حيث قال «كمال الوجود و دوام الوجود موقوف عليها، أما باقي المحبوبات فهي آلة لكمال الوجود»<sup>4</sup>، إذن كمال الذات من خلال كمال و سلامة كل أعضائها، هو أول الأسباب للمحبة الحقيقية و بلوغ جوهر الجمال.

**2/الإحسان:** يعرفه الغزالي فيقول «إن المحسن من أمد بالمال، و سائر الأسباب الموصلة إلى دوام الوجود و كمال الوجود»<sup>5</sup>، ما يجعل الإنسان عبدا للإحسان و قد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها و بغض من أساء إليها، لكن الإحسان ليس هو عين الكمال المطلوب، بل يكون سببا له، ما يؤكد أن حب المحسن لا يكون لذاته بل لإحسانه، و هو فعل من أفعال زوال الحب أو نقصانه.

1- المصدر نفسه- ص9

232- المصدر نفسه - ص9

3- الغزالي- المحبة و الشوق و الأتس و الرضا - مصدر سبق تعريفه - ص6

4- المصدر نفسه- ص7-

ص11- - المصدر نفسه

**3/ حب الشيء لذاته:** إن الحب الحقيقي هو الحب المحض الذي لا ترحى من ورائه غاية أو منفعة لأنه زائل بزوال الغاية، أما الحب الذي يوثق بدوامه فهو الحب لذاته، كحب الجمال و الحسن، فإن كمال الجمال محبوب عند مدرك الجمال، و ذلك لعين الجمال لما فيه عين اللذة، و اللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها و هو ما أكده حجة الإسلام حين قال «أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه و راء ذاته، بل تكون ذاته عين حظه»<sup>1</sup>، إذن الطباع السليمة قاضية باستلذاذ النظر إلى الطبيعة و جمالها لذاتها لا لطلب الحظ.

#### الأصل الرابع: معنى الحسن و الجمال

جعل الغزالي حضور الحسن و الجمال من أهم شروط كمال الموضوع الجمالي، إلا أنه ميز بينهما فقال «اعلم أن المحبوس في مضيق الخيالات و المحسوسات ربما يظن أنه لا معنى للحسن و الجمال إلا تناسب الخلقة، و الشكل، و حسن اللون، و كون البياض مشربا بالحمرة و امتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص إنسان»<sup>2</sup>، فإن الحسن الأغلب على الخلقة حسن الإبصار فيظن أنه ما ليس مبصرا و لا متخيلا و لا متشكلا و لا متلونا مقدر و لا يتصور حسنه، و إذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لذة، فلم يكن محبوبا و هذا خطأ ظاهر. لأن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر و لا على تناسب الخلقة و امتزاج البياض بالحمرة، فما معنى الحسن الذي تشترك فيه الأشياء؟ و ما الحسن الذي يحقق الجمال؟

يجيبنا الغزالي في قوله «اعلم أن الحسن و الجمال موجود في غير المحسوسات و هي لا تدركها الحواس الخمس، بل تدرك بنور البصيرة الباطنة»<sup>3</sup>، يحدد نوع الحسن المدرك بين البصر و البصيرة، فالأول ما تشترك فيه الأشياء لأنه يشمل الصورة الظاهرة فحسب، لكن هذا لا ينكر حسن الجمال للمحسوسات كما لا ينكر حصول اللذة بإدراك حسنها، أما الثاني فهو من يحقق لنا درجات الجمال وصولا للكمال، لأنه يشمل الظاهر و الباطن. لنخلص من خلال ما سلف ذكره إلى أن أقسام المحبة الحقيقية التي حددها الغزالي جوهر نظريته الجمالية هي خمسة أقسام:

- حب الإنسان وجود لنفسه و بقائه و كماله.
- حبه من أحسن إليه فيما يرجع لدوام وجوده و يعين على بقائه و يدفع المهلكات عنه.
- حبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس و إن لم يكن محسنا إليه.
- حبه لمن بينه مناسبة خفية في الباطن، لتناسب الأرواح بينهما.

1- الغزالي- المحبة و الشوق و الأنس و الرضا- مصدر سبق تعريفه- ص12

2-المصدر نفسه- ص13-

3-المصدر نفسه- ص15-

## ب/ جماليات الإنسان الجمالي عند الغزالي:

إذا كانت الأصول الجمالية الأربعة التي حددها الغزالي كأساس نظريته الجمالية تصنف الإنسان كموضوع الجمالي، فإن هذا يجبرنا على تحديد حقيقته، و مكانته في التصور الفلسفي الإسلامي باعتباره عالم من العوالم الذي مازال العلم و الفكر الفلسفي يبحث في أرجائه المادية لأننا لا نفهمه في كليته أمام ألغازه التي لا تزال مجهولة اليوم على الرغم من التقدم الفكري و العلمي الذي بلغه الفكر البشري، و حين نتأمله نحس بعاطفة عميقة في تقدير الجمال<sup>1</sup>. لكن حقيقة الإنسان تكمن في كليته وفق التصور الإسلامي القائم على مبدأ العموم و الشمول للمنهج الإلهي، الذي يعرف الإنسان كحقيقة كلية يتماهى فيها كل من «الروح، الجسد، العقل، القلب» ككل متكامل يحدد جوهرية الإنسان و ماهيته في التصور الفلسفي الإسلامي، الذي حدد بدوره العوامل التي تجعل منه الإنسان الجمالي هي:

- معرفة الإنسان بنفسه.

- معرفة الإنسان لوظيفته و دوره في هذه الحياة.

إذا ينظر الإسلام من خلال نصوص كتابه الكريم إلى جماليات الإنسان ذلك المخلوق المكرم و المكلف «نظرة كلية تجعل الجمال سمة أصلية في كيانه»<sup>2</sup>، لأن الجمال في الإسلام هو جانب من جوانب التكريم الإلهي للإنسان لقوله تعالى (الله الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ<sup>3</sup>) و قوله (خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ<sup>4</sup>) يتبين لنا من خلال هذه الآيات الكريمة التأكيد على الجمال الظاهر للإنسان، أما قوله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ<sup>5</sup>) فتؤكد على جمال الإنسان ظاهره و باطنه، إنها النظرة الكلية التي تحدد لنا جمال الإنسان في الإسلام، ما يجعله حصيلة مشتركة لكامل كيانه. لكن ما هي جماليات الإنسان الجمالي أمام كليته؟

قسّم الغزالي جماليات الإنسان الجمالي إلى قسمين «الجمال الظاهر، و الجمال الباطن»، فالأولى يمثلها الإدراك الحسي للموضوع الجمالي، و غيابه يعني غياب الجمال الظاهر، لأنه يوجد بتوفر العناصر المحسوسة التي تعتبر العناصر الجمالية له، أما القسم الثاني فقد صنفه ضمن الموضوعات غير المدركة

1 - ألكسيس كاريل - الإنسان ذلك المجهول - ترجمة عادل شفيق - الدار القومية للطباعة و النشر - دط - دت - ص 303

2 - صالح أحمد الشامي - ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام - مرجع سبق تعريفه - ص 173

3 - سورة غافر : الآية 64

4 - سورة التغابن: الآية 03

5 - سورة التين: الآية 04

بالحواس) العلم، والعقل، والعفة، الشجاعة، والتقوى، والكرم، والمروءة... و سائر خلال الخير التي تدرك بنور البصيرة الباطنة<sup>1</sup>، إنه جمال محبوب بالفطرة داخل كل نفس سوية و متزنة «الطبع السليم»، إنه الجمال الخالد و الباقي، لأن الجمال الظاهر زائل بزوال أعضائه لقوله) و ليت شعري من يحب الشافعي مثلا، فلم يحبه و لم يشاهد صورته قط، و لو شاهدها ربما لم يستحسن صورته، فاستحسانه الذي حمله على إفراط الحب هو لصورته الباطنة لا لصورته الظاهرة، قد انقلبت ترابا مع التراب و إنما يحبه لصفته الباطنة من الدين، و التقوى و غزارة العلم، و الإحاطة بمدارك الدين... هذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة أما الحواس فقاصرة عنها<sup>2</sup>.

### 1. إدراك جوهر الجمال الظاهر:

قسم الغزالي المدركات الحسية و جعل لكل حاسة نوع من المدركات الحسية الخاصة بتذوقها، جعله هذا من الأوائل الذين صنفوا مجالات للإدراك الحسي و ارتباطه بالتذوق من خلال قسم الجمال المحسوس إلى خمسة أنواع تتمثل في<sup>3</sup>:

- الجمال المرئي: هو الجمال الذي يختص بالمدركات المنظورة، و يستتبعه تذوق للذة البصرية من خلال العين و النظر.
- الجمال المسموع: الذي يختص بالمدركات المسموعة، و يستتبعه تذوق للذة سمعية من خلال السمع.
- الجمال في الروائح الزكية: يدرك الروائح الجميلة و يستتبعه تذوق للذة من خلال الأنف.
- الجمال في التذوق: يدرك الأطعمة، و يستتبعه للذة من خلال التذوق الأطعمة.
- الجمال الملموس: يدرك الملموس و الجميل الناعم، من خلال اللمس.

### إدراك جوهر الجمال الباطني:

ذكر الغزالي أن المحبة لله و لرسوله صلى الله عليه و سلم هي الغاية القصوى من المقامات، و الذروة العليا من الدرجات حيث قال) أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظه، و هذا هو الحب الحقيقي البالغ عند مدرك الجمال، و ذلك لعين الجمال. لأن إدراك الجمال

1 - الغزالي - إحياء علوم الدين - كتاب المحبة و الشوق و الأنس و الرضا - مصدر سبق تعريفه - ص 317

2 - المصدر نفسه - ص 317

3 - صالح أحمد الشامي - ميادين الجمال في الظاهرة الجمالية في الإسلام - مرجع سبق تعريفه - ص 335

فيه عين اللذة<sup>1</sup>، يعني أن إدراك الجمال يتم من خلال حب اللذة لذاتها لا لغيرها، أما جوهر الجمال و إدراك نفس الجمال فيجب هو الآخر أن يكون محبوبا لذاته، فحب الجمال و تذوقه لذاته لا لنفع مادي. أما كمال الجمال و الذوق الجمالي، أو جوهر الجمال هو الغاية القصوى له و هي الحب المطلق أي الخالق.

يؤكد الغزالي أن إدراك الجمال الباطن يتم عن طريق نور البصيرة، لأنها أكثر اتساعا من البصر، ما يجعلها تدرك الأمور التي تعلو على الحواس، بل تتصل بالقلب الذي يعتبر أشد إدراكا للجمال الباطن من العين، بالإضافة إلى العقل الذي يتضمن هو الآخر الإدراك الباطني للجمال. هنا نخلص للجمع بين {القلب و العقل} كمترادفين لمعنى واحد و هو ما أكده الغزالي من خلال قوله)إن هناك حسا سادسا مهنته القلب لا يدركه إلا من كان له قلب، والبصيرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر، و القلب أشد إدراكا من العين، و جمال المعاني المدرك بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة للإبصار، فتكون لا محال لذة القلب بما يدركه من الأمور الشريفة الإلهية التي تجعل أن تدركها الحواس أتم و أبلغ فيكون ميل الطبع السليم و العقل الصحيح إليه أقوى<sup>2</sup>، أنها البصيرة التي جعلها الحاسة السادسة، قد تسمى العقل أو نور الإيمان و اليقين، لكن لا معنى للاشتغال بالأسامي هنا، لأن الغزالي يرى» أن الضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأنه يطلب المعاني دون الألفاظ»<sup>3</sup>.

لنختتم هذه الدراسة التحليلية الجمالية من خلال ما سلف ذكره أن الغزالي قد استطاع أن يؤسس لقواعد جمالية باعتباره أول منظر للجمال من المنظور الفلسفي الإسلامي، من خلال أسس ثلاث هي {الإدراك، الوجدان، النزوع}، فإدراك الجمال الظاهر والباطن يوجد اللذة، واللذة توجد الحب، وحب الجمال كقيمة عليا، و هو الحب الحقيقي الذي يوثق بدوامه فيوجد كمال الجمال، و هو أعلى مراتب الإدراك و الكشف الجمالي الذي لا يتحقق إلا في الواحد المطلق.

1 - الغزالي - المحبة و الشوق و الأنس و الرضا - مصر سبق تعريفه - ص 318

2 - الغزالي - المحبة و الشوق و الأنس و الرضا - مصر سبق تعريفه - ص 314

3 - المصدر نفسه - ص 315